صلوات الشيخ الأزرق

شيخي (١) المتعبد ذو الثوب الازرق
زيت يحرق
في صمت « الخلوة »
« للعقل الكلي » نذور
يفنى صلوات للمولى
ودعاء ينداح غمام بخور
لاله لا تعرف عيناه الغفوه
حتى عن عبد مفموس في الرجس
في وحل الشهوات الدنيا ،
لا يملك حولا
في وجه الرغبة والنزوة !
شيخي المتنسك
يقهر في « الخلوات » النفس
والطين الهاجس
تعبان الامس
يتبتل للوجه الابقى .. يقتات
بالكسرات

من خبز ينبت اشجار العفن
مخبوء تحت حصير رطب
ويبل الغلة بالقطرات
من ابريق اعشب من انفاس الزمن !
ليصفي الجسم الخاطىء من اوشال
الذنب

ويخط طريقا نحو جنان الرب
عبر سطور في « ميثاق »
محفوظ تحت ركام
من رمال الاهرام !
شيخي الخاتم « كتب الحكمة »
المبحر في « الكشف » الارحب
في يم « الغيبة » و « المعلوم »
لا يأكل من مال الحاكم
من ايدي النجار
لا يخشى ظلمات الموت المحتوم
فالموت جسور
وطريق عبور
ابدال قميص رث ... تجديد
في « اهل التوحيد »
والجسم وعاء .. عرض منفعل زائل
فخار بائد
يبدل عند الموت
ويظل الفاعل
وهيج الجوهر ..
هذي الـــروح التكـــرار الابـدي
الخالد (٢)
شيخي المتروي من ماء « النبعين »
من علم « الاصلين »
يتضرع في الفجر المتفتـح كالمروحة
الشقراء
ويردد في صمت :
« يا اول اسباب الفائيه
يـا قيوم
يا وجها تشتاق اليه
ترتاح لديه
كل نفوس المنقطعين
لعبادته

جنبني الباطل .. سلحني
بالحق الساطع في وجه طغاة يغتصبون
خبز المستضعف ، علمني
ان سماح المؤمن اسمى
درجات العفو القادر والقوة
وبان النقمة
اولى درجات الضعف
والسلم للهوه !
يا ساكب نفسي
من نور روحاني
في هذا الصلصال الفاني
طهرها من آثام « الدور الماضي »
حررها من قيد تراب يقعدها
ويشد بها لسفوح الطين
خلصها من نار التقصير
في درب بلوغ الغايات
ومسالك ادراك المعلومات الربانية
كي تعرف اسمى الدرجات
في كنه الاوصاف البرهانيه
الهمها حب الاعراض
عن دنيا الزخرف والاغراض
جنبها الاسفاف
قرب . بالسعي الدائب ، رتبتها
من « منزلة الاعراف » (٣)
فعلوم التوحيد نعيم
والجهل جحيم
وضياع في هذي الظلمات
لشطوط امانك
يا من يشغل هذا القلب العاشق
بالصلوات
الهمني حفظ الاخوان
الصدق المتنزه عن درب البهتان
اقبل صمتي ...
فالصمت صيام !
ورحيل هيام
يزرع نفسي بنداءات
محرورات
تنبع من ارض اللهفات
وتسافر ... تبحر ...
كي تمطر من اهداب سديم
وكنشر اللؤلؤ تنهمر
فيطير القلب المستعر
يدخل في آفاق الكشف
ونعيم الرشف !
املأ اعوامي السبعة
في « خلواتك » بالتهليل
حملني القنديل
في ليل الحيرة والتأويل
لمرامي آيات التنزيل
نـور عقلي
« كالشيخ الفاضل »
كالفارابي !
لاشاهد ما خلف الابواب !
انفذ من قشر العلة للاسباب
والامس لب الالباب !
يا خالق
من كل فريد زوجين
كي يبقى فرد
لو جفت اعراقي ... لو شخت
سيظل القلب المسلوب مقام
لحضورك يا ربا يصرفني حبه
يفني حدبه
عن كل الناس
ويخلي تبر العالم في العينين

اكداس رماد
وجنان الارض الخضراء يباس
والزوجة اخت !
يا متعالي
عما يصفون
ويحدون
يا ربا لا يدخل جنته
ومحبتـــه
الا المتلاشي في ذات « العقل »
المتكون من نوره
الداخل في سره
والساجد ، بعد غرور ،
عند جدار الحد !
حين ظهور « طباع الضد »
يشتاق ، ضعيفا ، ...
وهو امام الخلق ، بهاك
يا ضوءا وهاجا لولاه
ضيعت الدرب
في رحلاتي نحو سمائك ...
حيث اشاهد ، مبهورا ،
انهار الجنات
ونقاء وجوه الصلاح الوهاجة كالاقمار!
واعود لادفن في صدري ...
احفظ في سري
ما ليس يذاع
للاسماع
واخبىء تحت الاجفان
ما عبت عيناي الذاهلتان
من فيض سناك
ودموع الخشية الا احظى
بنعيم رضاك
وسماحك في يوم حساب
يرفع فيه عن عباد العجل الخوار
والاصنام
وهم الاقلام ...
ويماط ، لكشف، حقيقة وجه النفس
حجاب ... »
واذا نشر الليل الرقراق الخدرا
كحلا مذرورا تشربه الاجفان
وسكونا يوقـظ فـــي النفس
الايمان ...
فرش المخمل للشرق المترنـح
سجاده
كهف عباده
مال الشيخ الازرق في خلوته
يتأرجح .. يمسح غيم الغفوة
عن جبهته ويتمتم ...
يهمس في استغراق :
« يا ساداتي المعصومين » (٤)
يا « خمس حدود » محتجبين
يا « عقلا » ذا ثوب اخضر
عقل الكون المتمرد ...
ادرك لغزه
كان السابق في الابداع ...
يا هرمس !..
يا قلما ينقش في الواح القلب
همسات الرب ...
يا خفق هيولى
في الازمان الاولى
ازمان « البار »
قبل الكائن ... والا مكان
يا سلمان (٥)
يا نقطة حبر ضوئيه
في دائرة الاعلالية
يا سمعا مفتوحا ، يبقى في اصغاء
لتلقي الهاجس من ذات الله
في كل الادوار
يا علة علات التكوين
والاشياء
يا جوهر ناسوت الازل
يا عين الزمن
ومنار الحكمة والفطن
يا نصلا يقطع رأس « الدجال »
ذي العين العوراء
اذ يخرج من حلب « الشهباء »
في جيش الدجالين العور
اهل الديجور !
يا حمزه (٦)
يا وجها حرك في « الغيبه »
عرق الريبه
عند المتخاذل ...
ايقظ افعى الشك
كان محك
للمترسخ في الايمان
يترقب في صبر المؤمن
وصمود المتيقن
اشراق ظهور
ورجوعا في الوقت المقدور ...
يا « نفسا » في ثوب احمر
يا حجة قائم « عين الزمن» النورانيه
يا نفسا كليه
تمتص العلم الروحاني
عن ذات العقل الرباني
يا دون « الفعل المنفعل »
يا كهف التوحيد
يـا متحرك
حول « العقل » المبدع مـــن نـور
« الذات »
والوهية رب عال
اوجود جميع المعلولات
يا قمرا يعكس نور الشمس
وبشيرا يورق في جهره
شجر الهمس !
يا غضبان
يخرج من اسوار الصين
من اقصى اطراف الشرق
وبسيف الحق
بالنصل البتار
يضرب اعناق الكفار !
يا ثالث ساداتي ذا الثوب الاصفر
« يا كلمة »
يا همس براعم مبتسمة
وحنان جناح الغفران
يا تاج الكلمات العليا
يا صوت الايمان ...
يا مولاي « السابق »

فؤاد الخشن

ـ التتمة على الصفحة ٥٥ ـ

---

١ ـ احد اجاويد مذهب التوحيد الدرزي الذين يرتدون جبة التقشف الزرقاء .

٢ ـ عقيدة التقمص عند الدروز .

٣ ـ منزلة مـن المعرفة تكتسب بانتقال الروح خلال « ادوارها » من جسد الى جسد

٤ ـ الحدود الخمسـة المعصومين عـن شهوات الجسد .

٥ ـ سلمان « پاك » الفارسي المدفون قرب بغـداد .

٦ ـ حمزة بن علي وزير الحاكم بامر الله الفاطمي .

وتعبيره عنها . وقد اهتمت هذه الرحلة النقدية السريعة بالتعرف على ملامح عالم الشاعر من الناحية الفكرية والمضمونية بالدرجة الاولى . ولم تتطرق الى الناحية البنائية الا بشكل سريع . ومن ثم فسوف نحاول ان نتعرض هنا لبعض وجوه هذه الناحية الهامة في الشعر بشكل اكثر تفصيلا .

وأول قضايا الشكل التي يطرحها هذا الديوان تنحت ابرز ملامحها من اسلوب الشاعر في بناء القصيدة . ذلك الاسلوب المتراكب الذي يحاول ان يتحرر من الطريقة الغنائية وان لم يطرحها خلف ظهره بشكل كامل .ومن هنا تبدو قصائده متشابكة كأغصان شجرة جميز عتيقة ، مليئة بالمنحنيات . وكذلك جملته الشعرية طويلة هي الاخرى ومليئة بالمنحنيات . تعترضها الجمل الاعتراضية كثيرا ، لكنها ما تلبث ان تلتف حولها وتجتازها لتواصل السير من جديد . وهذا الاسلوب في الصياغة ليس شيئا منفصلا عن طبيعة بناء قصائده المتراكبة ولكنه أحد وجوه هذا البناء المتراكب. وهو بناء يميل الى التركيز على الحسيات باعتبارها طريق الفن الاصيل الى الفكريات . والى الاهتمام بجزئيات الحياة البسيطة والعادية وتفجير كل هذه الجزئيات المتناهية البساطة والعادية بكل ما في الشعر من تدفق وانطلاق . لا يميل الى التجريد بل يبدو أنه يكرهه . فليس هدف الشعر – كما يقول بودلير – أن يغوص في أعماق اللانهائي كي يعثر على الجديد . بل أن يسبر اغوار المعطيات المحدودة حتى يعثر في أعماقها على مالا ينضب له معين . فمن خلال هذه المعطيات المحدودة يستشرف الشاعر ، برؤيته العميقة وبصيرته الحساسة ، علاقات جديدة . علاقات لا يقرها المنطق او قانون السببية. بل تنبع من خلال التزاوج المتناسق لاستهداف المعنى . وهذا التزاوج بين الصور هو أسلوب عفيفي مطر الاثير في صياغة استعاراته وفي بناء قصائده . بل أنه كثيرا ما يلجأ الى نوع آخر من التزاوج هو ما يسميه كينيث بيرك – « التناسب الناشىء عن عدم التناسب » وذلك باستعماله المتجاورات المتناقضة والمتنافرة بمهارة وحذق . واستخدامه الدائم للكلمات ، باعتبارها خالقة صور لا صانعة تصورات ، باقتدار ومهارة تبعث الكلمات وهي رميم . ولا تستنكف استعمال أكثر الالفاظ ايغالا في القاموسية أو اشدها تدنيا الى مستويات الحديث اليومية . مشكلة بهذا الاساس الطبيعة الخاصة ليس لقاموسه الشعري فحسب . ولكن لاسلوبه في صياغة الصورة وفي التعبير بها والتفكير بها كذلك .

وهذا الاسلوب في اختيار الكلمات وصياغة الصور هو اكثر الاساليب توافقا مع عالم محمد عفيفي مطر الشعري ومع الارضية الريفية التي اختارها مسرحا لعالمه . ونسج من مادتها أغلب جزئياته . فأجرى فوقها كل احداثه . وطبيعة القرية المصرية التي نجدها وراء كل صورة من صور محمد عفيفي مطر الشعرية هي التي تدفعه الى استخدام ما يسميه جون كرورانسوم باللغة البدائية . وهي اللغة التي اذا حاول الكلام فيها أن يكون فكريا اضطر الى أن يكون بداءة صوريا او محسوسا . وهذه اللغة البدائية الحسية بينها وبين علماء السيمنتيات (علم المعاني) عداء ملحوظ . لانها تشير دائما لاشياء محسوسة وكلية وذات صفات كثيرة .تشير للاشياء كوحدات كاملة مليئة بالزوايا والتفاصيل . وليس كجزئيات مجردة دالة علمية ومحدودة . أن اللغة البدائية بحالتها تلك تفسح المجال في الشعر للرؤية والنبوءة . وتبتعد به عن مجال الاستقصاءات النثرية السقيمة .فطبيعة العمل الشعري تستعصى دائما على العمل السيمانتي . لانها حتى لو استخدمت الكلمات ذات الدلالات المحددة والواضحة فانها تفرقها في تيار يستهدف ابراز اثر الكلمات كأصوات بجوار دلالاتها كرموز انفعالية او استدلالية . وهو بذلك يحاول اخراج الكلمة من اطارها السماتي التقليدي ليضعها على مشارف عالم آخر هو عالم المجازات والاستعارات . حيث تتنامى في هذا العالم الرحيب سلطة المراوغات والحيل التي ترمي الى احلال

تتمة صلوات الشيخ الازرق

يا ثوبا ازرق عابق
بالطيب الهارب من جنات الله
يا كفا تفتح باب العهد
لقلوب اضواها الوجد ...
يا مولاي « التالي »
يا ثوبا ابيض
منسوجا من طهر الفل المتفتح
من فوح النسرين
يا ابهى مصباح
في الظلمة ...
في درب الايضاح
يا سند المؤمن اذ تنكشف اللمة
وتزول الغمة
لرحيل قلوب
في لهفة قنديل التوحيد تذوب !
يا ساداتي الخمسة
لو رؤية طيف ... لو همسة

لو ومضة وعد في اشراق
لارتاح القلب
لسخاء السكب
ولطلقت لفيض الاشراق منامي
وحرمت جفوني الغمض
خليت طعامي
لنمال الارض ! »
يا شيخي الازرق
يا وجه محبه
وجبينا يقطر اشراقا
وحنينا للفيح الاول
في هذي الغربة
يا صوفيا يحمل ربه
طي الجبة !
لو يطفأ في عقلي الشكاك
مصباح العلم الضارب
في ليل الافلاك

يطرق ابواب كواكبه الرعشاء ...
يجول
ليعري آفاق المجهول
لو ادخل في الفرح الاكبر
في « شمل الاخوان »
اسكت فخاري الظمآن
اعرفت الفبطة يا شيخي
ونعمت بجنات اطمئنان
لانسابت في نفسي
انهار بيضاء !
ونجوم خضراء ...
لكني انسان
ما زلت بعيدا
عن درب التسليم الهانىء
ما زال
يتململ فيّ الثعبان
ويفح ...
يحرك في الاعماق
الف سؤال !